

الاتجاه السياسي الليبرالي الراديكالي

المادة : الفكر السياسي الغربي المعاصر

المرحلة : الرابعة

مدرس المادة : أ.م.د. طلال حامد خليل

يعد مفهوم الراديكالية من أكثر المفاهيم التي اختلطت دلالاتها وتشعبت تعريفاتها ، إذ أن الراديكالية مشتقة من الكلمة الانكليزية (Radical) و هو التي تعني باللغة العربية " أصل " أو " جذر " ، ويقصد بها عموماً العودة إلى الأصول والجذور والتمسك بها والتصرف أو التكلم وفقها وهو ما يطلق على الأحزاب والأشخاص ، وتقابل في اللغة العربية ما يعرف بالأصولية التي لا ترضى بالتغيير على حساب الفروع والأصول ، ويصفها قاموس " لاروس " الكبير بأنها (كل مذهب محافظ متصلب في موضوع المعتقد الديني أو السياسي) ، وقد أطلقت بادئ الأمر على رجال الكنيسة اللذين حاربوا كل إصلاح لأنه يعد مساساً مباشراً بتعاليم السيد المسيح ، وقد تطور استخدام الراديكالية ليعني الإصلاح الجذري ومحاولة تطوير المجتمع بجوانبه كافة ، فقد تم النظر الى الراديكالية على أنها مذهب اقترن باسم جون ستيوارت مل وغيره من تلامذة جيرمي بنثام ، ورغم أنه مذهب سياسي اقتصادي فلسفي نظري إلا أنه اهتم بالجانب التطبيقي أيضاً حيث طالب بتغييرات راديكالية في النظام القائم وارتبط بحركات الإصلاح حتى بدايات القرن التاسع عشر ، وهدف المذهب الأساسي كان العمل على الإسراع بحركة الإصلاح حتى تنجح في تحويل المجتمع الأرستقراطي التقليدي إلى مجتمع حديث علماني وديمقراطي ليبرالي ، ثم اتخذ مفهوم الراديكالية معناً آخر مركزاً على العقل واعتماده كأساس في أي عملية تغيير أو إصلاح ، إذ عرفت الراديكالية بأنها (الحالة المتجسدة في مذهب الابتكار الذي يتخذ من المعرفة والعقل قاعدة له دون النظر الى الامتيازات التي تتخذ شرعيتها من الماضي)

ومن أهم الأحداث التي تميزت بها الراديكالية الآتي :-

١- عصر الأنوار : الذي عرف بادئ الأمر في فرنسا وتميز بالنهضة الفكرية الواسعة والحركة الثقافية ، وكان معظم كتاب فلسفة عصر الأنوار مهتمين بالتغيير والإصلاح المبني على أساس المعرفة والعقل ، وتجريد الكنيسة من الدور الذي كانت تضطلع به فضلاً عن محاولة بناء

مجتمع ديمقراطي ليبرالي وتميز عصر الأنوار بالمبادئ التي أهمها (التمرد على السلطة ، العقلانية ، التفاؤل الثقافي، العودة إلى الطبيعة ، الديانة الطبيعية ، حقوق الإنسان).

٢- ملكية تموز : وهي ملكية فرنسية دستورية ليبرالية تحت حكم لويس فيليب وكان ليبرالي ثار على حكم آل بوربون في تموز ١٨٣٠ واستمرت هذه الملكية الى عام ١٨٤٨ وشدد فيليب على الجذور الشعبية لحكمه .

٣- حركة اليعاقبة : وهي حركة سياسية تشكلت في فرنسا في أعقاب الثورة الفرنسية وكانت تمتاز بالعنف ضد مناوئها ، وقد مثلت تيارا راديكاليا منقسما الى قسمين ، الأول عرف بالجيروند نسبة الى اسم احد الأقاليم الفرنسية ووعدوا بالجمهورية التي تعد مثلهم الأعلى ويحضون بتأييد الريف الفرنسي ، والشق الآخر هم اليعاقبة الأقوى في باريس ، وقد دخلوا في صراعات طويلة فيما بينهم الى أن تم القضاء على الجيرونديين من قبل زملائهم الباريسيين . وقد دعوا الى إقفال الكنائس وتأسيس ديانة جديدة سميت بعباد العقل والمعرفة ، إذ تم إقفال ٢٤٠٠ كنيسة ، غير أن ما أنهى نشاط اليعاقبة هم اليعاقبة أنفسهم .

٤- الحركة الشارتية : وهي حركة اشتق اسمها من كلمة ميثاق باللغة الانكليزية (charter)، والميثاقية أو الشارتية حركة شعبية تعتقد بان اكتساب الحقوق السياسية هو الوسيلة الوحيدة لتأمين توزيع جديد للثروات وان الديمقراطية اقصر الطرق لمجتمع المساواة ، وهي حركة سياسية تحركها الأيديولوجية وقد عدت إحدى مناورات البرجوازية الصناعية ، لإبعاد دور الدولة أسهمت في جانب منها الى انتعاش الليبرالية الراديكالية .

٥- الحزب الراديكالي : اقترنت الراديكالية بهذا الحزب ببعض الاعتبارات المتعلقة بالحريات العامة والرغبة في الإصلاح الجذري الذي يتم تحقيقه عن طريق الاقتراع الشامل ، غير انه لم يستطع الاستمرار في العمل السياسي على الرغم من وصوله الى مجلس العموم البريطاني للفترة من ١٨١٥-١٨٢٠ .

غير أن ما سبق من أحداث تمظهرت فيها الراديكالية فإنها جميعا تدين الى فضل الثورة الفرنسية التي انتعشت في ظلها الاتجاهات الليبرالية السابقة ، إذ أن الثورة الفرنسية أسهمت في إعداد المواطن المستقل ذاتيا الجيد أخلاقيا ، من خلال سلسلة من الأفكار والقرارات التي أعلنت من شان العقل وفكرة السعادة والفضيلة ، فقد طرح إعلان حقوق الانسان والمواطن مسألة المتطلبات الاجتماعية للعقل الذي ينبغي أن يتفتح بكل حرية لدى الجميع ، لان العقل هو الشئ الوحيد

الجدير بان يؤخذ بنظر الاعتبار ، فالراديكالية تعرف وتحدد شروط الحرية وتلخصها بالثقة المطلقة بالإنسان العاقل وعدم الثقة بالسلطة .

تتلخص رؤية الراديكالية كمنتظم فكري لقيادة المجتمع من الناحيتين السياسية والاقتصادية وفقا لقانون العقل من خلال التأكيد على مبدأين هما :-

١- وحدة المنهج : إن جميع التيارات الفكرية الراديكالية تعتمد منهجية واحدة هي منهجية الطبيعة ، إذ أنها تدرك أن كل هيئة عضوية طبيعية تميل الى أن تتطور نحو حالة أخرى تكون أرقى عن طريق التقدم النظامي لكل واحد من أعضاء هذه الهيئة المتناسقين فيما بينهم لتحقيق التقدم الأخلاقي والفكري ، فالتطور الحاصل لدى الفرد سيعزز ويعجل تطور المجتمع، على أن يتم اكتساب هذا التطور من خلال التربية وليس الثورة العنيفة فالسؤال ما الراديكالية ؟ إنها منهج قبل كل شئ ، ما هذا المنهج ؟ انه العلم يلهم السياسة .

٢- العقلانية : أن الراديكالية تهجر كل عقيدة وتهتم بالمثل العليا للعقل ،ولا ترتضي حدا آخر سوى حدود العقل ومطمحها أن ترى السياسة تبنى عن طريق العلم ، وعقلانيتها نابعة ليس من كونها مثالية ،فهي لا تؤمن بالمثالية الفلسفية ،بل تؤمن بالعقلانية الواقعية ، إذ أن هذه الواقعية تمكنها من رعاية وحماية مصالح الأفراد وتجعلها جديرة بالدفاع عنها .

أهم مفكري الاتجاه الراديكالي :

١- ليون بورجوا ١٨٥١-١٩٢٥

شغل بورجوا العديد من المناصب السياسية في فرنسا وهو قانوني اشتهر في آراءه السياسية القانونية الإصلاحية ، وهو صاحب فكرة التضامنية الموحدة لطبقات المجتمع ، إذ لا يمكن تطبيق العدالة وتصبح ناقصة إلا إذا تساوى الأفراد فيما يعطوه للمجتمع وما يأخذه منه طبقا لمبدأ الوفاء بالدين ، فكل إنسان ومنذ لحظة ميلاده يلتزم اتجاه المجتمع بدين بفعل ما يقدمه المجتمع من مزايا يستفيد منها الفرد ، وان عدم المساواة في المزايا التي يحصل عليها الأفراد نتيجة لعدم استشارتهم بصدد عبارات العقد مما يؤدي الى التوزيع السيئ للمزايا بينهم ، وهنا يأتي دور القانون الذي يقوم بدور المصحح لهذه العلاقة أو على الأقل المصحح لنتائجها بقدر ما يمثل تفسيراً للاتفاق الذي يسميه بورجوا (شبه العقد) - وفقا لنظرية العقد

الاجتماعي لروسو - ، إن مفهوم شبه العقد يوفق بين مفهومين هما : الفردية بإقراره بحقوق كل فرد وواجباته ، والتضامن داخل المجتمع بتوضيحه أن تقدم الإنسانية لم يصبح ممكنا إلا عن طريق التخصص وتقسيم العمل والتبادل الدائم للخدمات ، والسؤال هنا : ما هو دور الدولة في فكرة التضامنية التي يضعها بورجوا ؟ أن الدولة وفقا لمفهوم التضامنية لا تمتلك حقوقا على الأفراد لأنها بالأصل من خلقهم وإنتاجهم ، وتدخلها ينبغي أن يكون لإقامة المساواة بين جميع المساهمين في العقد ، فهي مدير لكل العقود وبذلك تملك حقا في الحصول على مقابل يدفعه الذين أدارت شؤونهم بشكل جيد ، وفي حال رفضهم الدفع فأنها تجبرهم من خلال القانون الذي ارتضاه الأفراد لبناء فرديتهم ومجتمعهم ، وهو ما يمكن المجتمع علميا وأخلاقيا لانجاز حاجات المجتمع .

٢ - سلسنتين بوكله :

عالم اجتماع وأستاذه في السوربون ، نظر الى المساواة التي نادى بها بورجوا من وجهة نظر علم الاجتماع ، وفي جميع مؤلفاته والتي من أهمها (الأفكار المساواتية ، الديمقراطية أمام العلم) يرى أن الديمقراطية ليست نظاما سياسيا فحسب ، بل أنها شكل من أشكال تنظيم المجتمع ، وقد عالج بوكله الشروط اللازمة للديمقراطية إذ يرى ان نمو الجماعات السكانية يؤدي الى مزيد من المساواة مؤكدا ان المساواة امام القانون هي الحد الأدنى المضمون بالنسبة للمواطنين ، اما القانون القديم فانه كان تمييزيا بدلالة العرق والطبقة والمرتبة الاجتماعية أو الانتساب الديني أو المذهبي ، وتقدم المجتمعات جاء ليحل المسابقة محل الاعتبار السابقة حتى اصبحت المساواة ليست امام القانون فحسب ، بل ينبغي ان تتوسع لتشمل المساواة الاقتصادية والاجتماعية وعلى السلطة ان تستجيب سواء رضت ام ابت ، خصوصا بعد ان انقلب هرم السلطة ، إذ لم تعد السلطة تهبط من السيد الى التابع بل تصعد من الشعب الى الموظفين .

ان اتساع حجم المدن والدول الكبرى خير معبر الى ان يقود الناس الى الاقرار بعضهم لبعض بالتماثل ومن ثم بالتساوي وان المساواة في عصرنا الحالي باتت المحرك الاساس للحضارة ، وبهذا فانه يدحض فكرة عدم التساوي البيولوجي ويخلص الى ان الديمقراطية ينبغي ان تتدخل باسم المساواة في التنظيم الاقتصادي .

٣ - اميل شارتيه (المشهور باسم ألن) ١٨٦٨-١٩٥١

يوصف شارتيه بانه احد أكثر المفكرين والكتاب راديكالية ، ففي كتابه (عناصر مذهب راديكالي) المنشور عام ١٩٢٥ يتأمل ويعمق مسألة السلطة ، فهو يعارض السلطة بكل انواعها ، إذ ان السلطة وفقا لشارتيه من خلال سعيها الى الحفاظ على نفسها وتوطيد اسسها وتوسيع نظامها هي مصدر كل الشرور للانسانية ، إذ ان السلطة تفسد بالضرورة كل من يشترك بها ، وكل سلطة بدون مراقبة تجعل الانسان مقيدا ، لذا فانه ضد القصور وضد الاكاديميات وضد الإدارة العسكرية وضد الحرب وضد الكنيسة ، فضلا عن كون السلطة المتجسدة في الناس هي سيئة لانها تميل في جوهرها الى ان تدوم ، هذا ما تضمنته جميع كتبه مثل (المواطن ضد السلطات) و (احاديث سياسية) والتي رأى فيها بان كل سلطة تميل للطغيان في محاولة لاكتساب الشرعية لنفسها وهو القائل (ان يتجه شخص أو أكثر الى حصر المجتمع في نفسهما أو جماعتهما واختصار المجتمع في الذين يتفقون معهما فهذا خيال مستحيل والتطرف بعينه).

اما كيف يمكن مواجهة السلطة ، فهو يرى ان الفكر والعقل ضمانا وحصنا للحرية ، الا انه لا يحبذ تخلي المواطن عن السلطة بشكل نهائي ورفض كل مقتضياتها لادراكه ضرورة بعض جوانبها ومؤسساتها فبدون الشرطة تصبح حتى حياة العقل غير ممكنة ولانها تقتضي الضبط فان لها ضرورة شريطة عدم الاستسلام للسلطة ، فهناك استسلام ضرورة وهناك استسلام عبادة والاخير مرفوض من وجهة نظره ، وعلى المواطن ان يتعلم الطاعة والرفض لان الطاعة تضمن النظام والرفض يضمن الحرية ، فالاصل ليس السلطة ولكن كيفية مراقبتها ، إذ يستوجب الأمر بان تكون للناس قدرة على عزل الملك أو الامير أو الرئيس في حالة عجزه عن القيام بواجبه لمصلحة المجتمع وتطوره ، وهنا تتجسد الراديكالية في الرقابة الدائمة للناخبين على النواب الذين ينتخبونهم النواب على الوزراء والوزراء على اداراتهم وبذلك تتحق الديمقراطية المباشرة التي تمثل احتجاج العقل لا عن طريق العرق أو الثقافة .